

## ندوة:

# شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام في أراجيزه ومضامين زياراته دراسة في ضوء نظرية السمات الشخصية

م. د. نور الساعدي\*

هذا البحث هو عبارة عن محاضرة أُلقيت في ندوة علمية في النجف الأشرف، أقامتها مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، بتاريخ: (٢٥ / ١ / ٢٠١٨)، تحت عنوان: (البعد الفكري في أراجيز الطف).

## المقدمة

يُشير النصّ القرآني إلى أهميّة قراءة الشخصية لمعرفة سماتها ومميّزاتها في أكثر من آية، منها قوله تعالى:

- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾<sup>(١)</sup>.
- ﴿...يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿...وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

\* دكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية/ كلية الفقه/ جامعة الكوفة. باحثة علمية في القسم النسوي في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

(١) الفتح: آية ٢٩.

(٢) البقرة: آية ٢٧٣.

(٣) الأعراف: آية ٤٦.

• ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

• ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسَمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾<sup>(٢)</sup>.

عُرفت تلك القراءة بنظرية (السيما) أو (العلامة)، وقد بين الراغب الإصفهاني أنّ هذا التوسُّم يُراد منه التفرُّس، إذ قال: «﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَمِهِمْ﴾»، أي: تتفرَّس فيهم أحوالهم، ممّا يدلّ على أنّ للفراسة حكماً صادقاً<sup>(٣)</sup>. فالفراسة تعني: قراءة شخصية الفرد من خلال علامات ومواقف ظاهرية أو باطنية. ومن خلال الآيات الكريمة يتبيّن أنّ تلك السمات هي طريق يؤدّي إلى معرفة حقيقة الشخصية وكيفية التعامل معها. وتطوّرت تلك النظرية، وعُرفت فيما بعد بنظرية (السمات)، أو نظرية (السمة الشخصية)، واحتلّت في علم النفس حيزاً واسعاً ومهماً.

ولا يخفى أنّ دراسة الرموز الدينية في ضوء تلك النظرية يعطي للنظرية جانبها التطبيقي، ويشخص مواطن توافقها واختلافها مع المفهوم الإسلامي للنظرية من جهة، ويظهر عظمة الشخصية الرمز من جهة أخرى، لا سيّما إذا كانت الآثار والكلمات والمواقف هي التي تحكي عن شخصيته.

والشخصية الرمز (موضوع البحث) هي شخصية أبي الفضل العباس بن علي ابن أبي طالب عليه السلام، وهي الشخصية المحورية الثانية في واقعة الطف بعد شخصية الإمام الحسين عليه السلام، إذ تسعى الباحثة إلى تطبيق قواعد نظرية سمات الشخصية على أراجيز أبي الفضل العباس من جهة، وما تضمّنته نصوص زيارته من جهة أخرى، من خلال اتّباع منهج الاستقراء والوصف والتحليل والاستنتاج.

(١) محمد: آية ٣٠.

(٢) الرحمن: آية ٤١.

(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٨٧١.

أما المصادر التي اعتمدتها الباحثة في استقراء أراجيز أبي الفضل وزيارته فهي:  
كتب المقاتل، وكامل الزيارات.

وقد تمّ تقسيم مباحث المقال إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: نظرية السمات الشخصية وأهميتها.

المبحث الثاني: سمات شخصية أبي الفضل عليه السلام في أراجيزه وزيارته.

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين سمات شخصية العباس عليه السلام.

### المبحث الأول: نظرية السمات الشخصية وأهميتها

نظرية السمة في علم النفس هي نهج لدراسة شخصية الإنسان، فهي تُقدّم وصفاً للفرد من خلال مجموعة كبيرة من السمات المميزة له<sup>(١)</sup>، إذ يهتم أصحاب هذه النظرية في المقام الأول بقياس السمات التي يمكن تعريفها بأنها: مجموعة من الصفات العقلية والجسمية والنفسية التي تظهر على الشخص في موقف معيّن، والتي تميّزه عن غيره من الأشخاص. ويمكن القول: إنّ كلّ ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال هو انعكاس لحقيقة شخصيته، فالفرد يمكن أن يُفهم في ضوء سمات شخصيته التي تُعبّر عن سلوكه، أو «تُعبّر عن استعداد ثابت نسبياً لنوع معيّن من السلوك»<sup>(٢)</sup>.

نظرية السمات ظهرت ملاحظتها الأولى مع عالم النفس الأمريكي (جوردون ألبورت) (١٨٩٧م-١٩٦٧م)، فقد عمل على تطوير نظريته- نظرية سمات الشخصية- التي تمزج بين دراسة السلوك والتحليل النفسي، بعيداً عن الغوص عميقاً في اللاوعي والمبالغة في التحليل، وبعيداً عن الاختصار الحصري على دراسة السلوك الظاهر، ومن خلالها عرّف السمة بأنها: «نظام نفسي مركزي عام... يعمل على جعل المثيرات

(١) أنظر: سفان صائب، الموهبة العقلية والإبداع من منظور علم نفس الشخصية: ص ١٦.

(٢) زهران، حامد عبد السلام، التوجيه والإرشاد النفسي: ص ١١٩.

المتعددة متساوية وظيفياً، كما يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفي والتعبيري»<sup>(١)</sup>.

وقد عمل علماء آخرون على تطوير تلك النظرية، وذلك باقتراح عدد من السمات لتحليل الشخصية في إطار عام من السمات الرئيسة، من خلال أسلوب إحصائي لتحليل العوامل، فقدّم (ريموند كاتيل) نظرية السمات الشخصية، وأشار فيها إلى ست عشرة سمة<sup>(٢)</sup>، وعرّف السمة بأنّها: «مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد، ومعالجتها بنفس الطريقة في معظم الأحيان»<sup>(٣)</sup>، وجعل من السمة وحدة بناء الشخصية في نظريته، أو أنّها تمثّل العنصر الأساسي في بناء الشخصية<sup>(٤)</sup>.

بينما اقترح (هانز ايزينك) ثلاث سمات مسؤولة عن تكوين شخصية الإنسان، هي: الانبساط ويقابله الانطواء، والانفعال ويقابله الاتزان، أمّا المكوّن الثالث فهو ما ينتج عن تقاطع سمتي الانبساط والاتزان، أو الانطواء والانفعال، وبعبارة أخرى: إنّ السمات المسؤولة عن تكوين شخصية الفرد هي سمة القدرة الاجتماعية، والفعالية، والحيوية<sup>(٥)</sup>.

وجاء نموذج العوامل الخمسة الذي قدّمه (لويس جولد بيرج) ليقدّم دعماً كبيراً من قبل واضعي نظرية السمات الشخصية<sup>(٦)</sup>.

تُدرس هذه النظرية ضمن علم نفس الشخصية، الذي يختصّ بدراسة الأنماط

(١) عبد الستار جبار، علم النفس الرياضي: ص ٤٢.

(٢) أنظر: سامي محسن، وفاطمة عبد الرحيم، علم النفس الاجتماعي: ص ٤٧.

(٣) عبد الستار جبار، علم النفس الرياضي: ص ٤٢.

(٤) أنظر: سفان صائب، الموهبة العقلية والإبداع من منظور علم نفس الشخصية: ص ٢٠.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢.

(٦) أنظر: سامي محسن، وفاطمة عبد الرحيم، علم النفس الاجتماعي: ص ٤٧.

السلوكية والفكرية والانفعالية الثابتة لدى الأفراد، ويُشار إليها عادةً بالشخصية، ويختلف في تعريفها تبعاً لاختلاف المدارس والاتجاهات النفسية<sup>(١)</sup>، وتعدّ نظرية السمات الشخصية هي الأساس النظري الذي تقوم عليه طريقة الإرشاد الموجه أو الإرشاد الممرّك حول المرشد، ويراد بها مساعدة الفرد القادر على توجيه ذاته ببصيرة وذكاء وكفاية لتحقيق الصحة النفسية، والتوافق في مجالات الحياة المختلفة<sup>(٢)</sup>.

### أنواع سمات الشخصية

اختلف علماء النفس في تقسيم السمات الشخصية للأفراد من حيث الكم والنوع، فمنهم من قسّمها إلى سمات رئيسة وأخرى مركزية، ومنهم من جعل السمات تتنظم وفق أبعاد معرفية ووجدانية وجسمية، ومنهم من جعلها على نوعين: سمات سطحية كالإيثار والواقعية، وأخرى مصدرية، وهي الأعمق في شخصية الفرد الدافعة للسمات السطحية للظهور على سلوك الفرد المعلن<sup>(٣)</sup>، وقد قُسمت السمات التي يحملها الفرد بشكل هرمي إلى ثلاثة أقسام، هي<sup>(٤)</sup>:

١- السمات الأساسية: وهي السمات التي يتسم بها الفرد - تقريباً - طول حياته، ويكون مشهوراً بها، فيصير اسمه بحدّ ذاته لقباً يُطلق على حاملي صفته، فنحن - مثلاً - عندما نقول: (ستالين) نقصد شخصاً دكتاتورياً، أو نقول - مثلاً - هذا الشخص (فرعون)، أي: أنّه شخص متجبرّ ظالم، أو نقول: إنّ فلاناً (أينشتاين)، أي: أنّه عبقرى، وهؤلاء الأشخاص (ستالين، فرعون، أينشتاين) صارت أسماؤهم بحدّ ذاتها لقباً يُشير إلى السمة، أي: إنّ الصفة صارت لصيقة بهم، ومقترنة باسمهم الشخصي.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٦.

(٢) أنظر: حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي: ص ١٢.

(٣) أنظر: العاني، نزار، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي: ص ٩٥.

(٤) أنظر: سفان صائب، الموهبة العقلية والإبداع من منظور علم نفس الشخصية: ص ١٨.

٢- السمات المحورية أو المركزية: وهي السمات التي تكون لصيقة أيضاً بالشخص، لكنها ليست بحدّة السمات الأساسية، مثلاً: ذكي، غبي، عصبي، لطيف، شرير، وغير ذلك.

٣- السمات الثانوية: وهي السمات التي تظهر في ظروف معيّنة لا يمكنك اكتشافها في الشخص دائماً، كأن يكون الشخص لطيفاً وذكياً واجتماعياً، كسمات ملازمة له طول الوقت، لكنّه في وقت الشدّة يصير عصبياً جداً، يثور على كلّ من حوله، فهذه السمة لا يمكن اكتشافها إلا في ظرف الشدّة، كسمة ثانوية له لا تلازمه كلّ الوقت. ويمكن أن تقسّم السمات الشخصية بصورة عامة على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:

١- سمات مشتركة: يتّسم بها الأفراد جميعاً، أو على الأقل جميع الأفراد الذين يشتركون في خبرات اجتماعية معيّنة.

٢- سمات فريدة أو جوهرية: لا تتوافر إلا لدى فرد معيّن، ولا توجد على نفس الصورة بالضبط لدى الآخرين.

٣- سمات سطحية: وهي السمات الواضحة الظاهرة.

٤- سمات مصدرية: وهي السمات الكامنة التي تُعدّ أساس السمات السطحية.

٥- سمات مكتسبة: تنتج عن فعل العوامل البيئية، وهي سمات متعلّمة.

٦- سمات وراثية: وهي سمات تكوينية تنتج عن العوامل الوراثية، ولا تحتاج إلى تعليم.

٧- سمات دينامية: تهبّي الفرد وتدفعه نحو الأهداف.

٨- سمات قدرة: تتعلّق بمدى قدرة الفرد على تحقيق الأهداف.

وهذه الأنواع جميعها تتّسم بمجموعة من الخصائص منها<sup>(٢)</sup>:

(١) حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي: ص ١١٩.

(٢) أنظر: عبد الستار جبار، علم النفس الرياضي: ص ٤٢.

أ - أنَّ السمة تقوم بدور دافعي في سلوك الفرد، بمعنى أنَّها تدفع الفرد لسلوك مُعيَّن دون غيره.

ب - أنَّ تلك الأنواع أو السمات ليست مستقلة عن بعضها، بل ترتبط فيما بينها ارتباطاً موجباً؛ لأنَّها تنبع من مصدر عام وهو شخصية الفرد، بل إنَّ بعضها تجتمع معاً، لتكوِّن السمات العامَّة أو السمات المشتركة.

وبذلك فإنَّ السمات هي أبعاد للشخصية، يمكن تحديدها لمعرفة خصائص تلك الشخصية وإمكاناتها التي تؤهلها أن تكون نموذجاً في المواقف المناظرة من جهة، ومدى تأثيرها في المحيط من جهة أخرى، ولعلَّه من هنا تتضح أهميَّة القدوة أو الرمز الذي يمكن الاقتداء به واتباعه، وكيفية تأثيره في الآخر سلباً أو إيجاباً؛ ولذلك فإنَّ «نظرية السمات الشخصية ركزت على شخصية القائد، وخصائصه وقيمه، والطباع التي تميّزه»<sup>(١)</sup>.

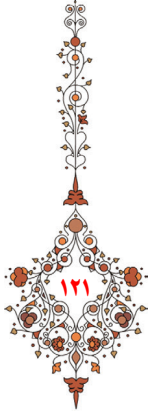
### المبحث الثاني: سمات شخصية أبي الفضل في أراجيزه وزياراته

باستقراء كلمات أبي الفضل العباس (عليه السلام) في أراجيزه ووصفه في زياراته، يتبيَّن أنَّ سمات شخصية أبي الفضل (عليه السلام) هي السمات الآتية: (فريدة، مكتسبة، وراثية، دينامية، قدرة)، ولكلِّ سمة من هذه السمات مصداقها الذي يتجلَّى من خلال تحليل كلمات أبي الفضل العباس (عليه السلام)، وهي:

#### أ. شخصية دينامية هادفة

يُقصد بالدينامية: مجموعة الانفعالات والاستجابات التي تدفع الفرد في موقف معيَّن لسلوك محدّد الأهداف مُسبقاً، فشخصية أبي الفضل كان لها استجابات في مواقف عدَّة، حثَّمت عليه اتخاذ إجراء آني لا يتحمَّل التأخير، إلَّا أنَّ ذلك الإجراء

(١) أبو العلا، ليلي محمد، مفاهيم ورؤى في الإدارة والقيادة التربوية بين الأصالة والتحديث: ص ٦٠



أو السلوك كان يصبّ في مجال تحقيق أهدافه الأساسية، وهي: حماية الدين، ونصرة الإمام الحسين عليه السلام. وتحقيق أهدافه الفرعية، كسقاية العيال، أو دفع الأذى عنهم، فعندما قال:

أقسمت بالله الأعزّ الأعظم      وبالحجون صادقاً وزمزم  
وبالخطيم والفنا المحرّم      ليخضبن اليوم جسمي بدمي  
دون الحسين ذي الفخار الأقدم      إمام أهل الفضل والتكرم<sup>(١)</sup>

فقد حدّد غايته الأسمى، وهي فداء الإمام الحسين عليه السلام بأعلى ما يُفدى به، وهو التضحية بالنفس. ولتحقيق ذلك الهدف هناك مجموعة من الاستجابات أو السمات التي دفعته إلى تحقيق أهدافه، منها:

١- عدم الخوف من الموت: عندما مضى يطلب الماء، فحمل على الأعداء وحملوا عليه، ففرّقهم، وجعل يقول:

لا أرهّب الموت إذا الموت زقا      حتى أوارى في المصاليّ لقي  
نفسي لنفس المصطفى الطهر وقى      إني أنا العباس أغدو بالسقا  
ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى<sup>(٢)</sup>

ومعنى الأرجوزة: أنّه عليه السلام لا يهاب الموت حين يُعلن عن وجوده، حتّى يكون عند اللقاء مقتولاً مُلقى بين الشجعان<sup>(٣)</sup>.

٢- الإقدام على الموت: فالعبّاس عليه السلام لا يهاب الموت، بل أقدم عليه كالنسر منقضّاً على فريسته، فعندما ضُربت يمينه أخذ السيف بشمّاله.

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٣٨٠. الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٠٧.

(٢) الساوي، محمد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٣٣.

(٣) أنظر: الجلال، محمد رضا، أبو الفضل العباس سيرته وسماته: ص ٢٠٩.



وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الإنسان عادةً عندما يُصاب بألم ينشغل بألمه عن مواصلة أيّ عملٍ آخر كان يقوم به، فكيف بألم قطع اليمين، بل المشهد نفسه كفيّل بأن ينشغل الإنسان به عن متابعة القتال، ولكنّ شخصية العباس بما أنّها تتّسم بالفاعلية الهادفة التي تحرّكه نحو أهدافه، تناسى حجم الألم أو طبيعة الصعاب التي تنتظره، بل في حال وجود العقبات فإنّ شخصيته تعمل على إيجاد البدائل في أصعب الظروف؛ لتحقيق هدفها الأسمى، فعندما قُطعت يمينه أخذ السيف بشماله، وحمل على الأعداء، وهو يرتجز:

والله إن قطعتموا يميني  
وعن إمام صادق اليقين  
إنّي أحامي أبداً عن ديني  
نجل النبي الطاهر الأمين<sup>(١)</sup>

وهنا يتجدّد إعلانه عن أهدافه الآنية، وهي: حماية الدين، وحماية الرمز الذي يتجلّى فيه الدين بصورة كاملة، وهو الإمام الحسين (عليه السلام)، ويعلن عن أهدافه الاستراتيجية بعد قطع يساره، وهو الفوز برضا الله سبحانه، بواسطة الالتحاق بالمصطفى وأهل بيته (عليهم السلام)، فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفار  
مع النبي السيّد المختار  
وأبشري برحمة الجبار  
قد قطعوا بغيهم يساري  
فأصلهم يا ربّ حرّ النار<sup>(٢)</sup>

فإنّ تهوين ما وقع على النفس، وتذكيرها بما ينتظرها من نعيم، يُعطي زخماً معنوياً قادراً على تحمّل ألم العطش ونزف الدم، وتحمّل مشاقّ القتال من جهة، ويعكس حجم الخزين المعرفي بأبعاد حركة الإمام الحسين (عليه السلام) من جهة أخرى، وهنا تأتي سمة شخصية أخرى تتّسم بها شخصية أبي الفضل العباس (عليه السلام)، وهي سمة القدرة.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق.

## ب. شخصية قادرة مريدة

سمة القدرة ترتبط بشكل كبير بمدى استعداد الفرد وقدرته على تحقيق أهدافه، وشخصية أبي الفضل من أهم سماتها أنها شخصية لها قدرة على تحقيق أهدافها؛ لما تتّصف به من الشجاعة، لكونه لا يهاب الموت، بل أقدم عليه، وذلك يحكي عن شجاعة وراثية ومكتسبة.

فالوراثية كونه ابن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف عنه بأنّه قتال العرب من المشركين. وأمّا المكتسبة، فهو ربيب بيت البطولة والشجاعة، ولكنّ الشجاعة بمفردها لا تكفي، بل لا بدّ من دافع وراءها يحرك تلك الشجاعة باتجاهها الصحيح، بواسطة مجموعة من الإمكانيات الذاتية التي تؤهّله لتحقيق تلك الأهداف، وقد بيّنتها مضامين الزيارة التي زاره بها الإمام الصادق عليه السلام، والتي تدلّ على سموّ منزلة العباس عليه السلام، وعظيم مكانته، قائلاً: «وأشهد لك بالتسليم، والتصديق، والوفاء، والنصيحة، لخلف النبيّ المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلّغ، والمظلوم المهتضم...»<sup>(١)</sup>.

وتلك الإمكانيات هي:

١- التسليم: وهو الانقياد والطاعة المطلقة، بتجرّد كامل عن إرادة كلّ شيء سوى نصره الإمام الحسين عليه السلام، وحماية الدين، وإيمانه العميق بقضية الإمام - الذي خرج طالباً للإصلاح - وأوصلته إلى مرحلة لا يرى فيها الحقّ إلّا من خلال نصره الحسين عليه السلام، ولعلّ ذلك أحد أهم أسباب نجاح الثورة الحسينية، وهو إيمان رجالها بحقّانيتها.

٢- التصديق: وهو تارةً يكون من دون قناعة بمصداقية العمل وصحّته، وهو ما يُعبّر عنه بالتصديق الأعمى، وتارةً يكون عن بصيرة وقناعة تامّة وإدراك واعٍ. التصديق الثاني هو الأكمل والأرقى، ونفاذ البصيرة التي أوجدت التصديق والتسليم

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٠.

في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، جعلت منه شخصية قادرة على تحقيق أهدافها بوعي ودراية؛ ممّا منحها سمة شخصية جديدة، وهي سمة التفرد، أو ما يُعبّر عنها بالسمة الجوهرية.

### ج- سمة التفرد

وهي سمة «لا تتوافر إلّا لدى فرد معيّن، وإذا وجدت فلا توجد على نفس الصورة بالضبط لدى الآخرين»<sup>(١)</sup>، ويمكن القول: إنّ كلّ السمات التي ذكرت سابقاً في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، هي سمات فريدة، ولكن هناك سمات عُرف بها، وأصبحت عنواناً له، فإذا ذكرت تبادر الذهن إلى شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، منها:

١- نفاذ البصيرة: حيث وصف الإمام الصادق عليه السلام عمّه العباس بقوله: «كان عمّي العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً»<sup>(٢)</sup>. ونفاذ البصيرة يعني قوّة الفراسة، وشدّة المراس، وقوّة الحنكة، والقدرة على تخطّي العقبات الحالية بالخبرات السابقة، وتطويعها وترويضها، والاستفادة منها في إيجاد حلول لمشاكل جديدة، وهو نوع من الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس، يتفرد به أشخاص قلّة، يتمتعون بشفافية روحية، تمدّهم بقوّة إدراكية تمكّنهم من رؤية بعيدة المدى، يتجاوزون فيها حدود الزمان والمكان؛ ليصلوا إلى عواقب الأمور قبل وقوعها<sup>(٣)</sup>.

من هنا فإنّ سمة نفاذ البصيرة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، تعني أنّه أدرك حقيقة حركة الإمام الحسين عليه السلام ومقامه، وعرف جيّداً من هو الخصم، وما هي أهدافه، واستقرأ دوافعه، فرأى عاقبة ما سيؤول إليه الأمر منذ البداية؛ ولذلك صدّق وسلّم،

(١) حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي: ص ١١٩-١٢٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢١٨.

(٣) أنظر: نجاتي، عثمان محمد، القرآن وعلم النفس: ص ١٢٩.



فاستطاع بذلك تحقيق أهدافه الآنية والاستراتيجية من خلال الرؤية الثاقبة التي جعلت جهاده مع الإمام الحسين عليه السلام جهاداً منقطع النظير، وهو ما عبّرت عنه الزيارة على لسان الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «أشهد أنك لم تهنّ ولم تنكّل، وأنك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتّبِعاً للنبيين»<sup>(١)</sup>.

٢- الوفاء: وهو من السمات التي تفرّدت بها شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، وشهد له بها المعصوم عليه السلام حتّى بيّن جزاءه بقوله: «فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحدٍ ممّن وفي بيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولادة أمره»<sup>(٢)</sup>. وسمة الوفاء في الشخصية، تعني حفظ العهود والمواثيق وأداءها على أتم وجه، وهي من السمات النادر تواجدها في الأفراد، حتّى ضربت العرب المثل بندرتها، فقالوا: «هو أعزّ من الوفاء»<sup>(٣)</sup>.

وتتجلّى صور الوفاء في سلوك أبي الفضل عليه السلام ومواقفه، منها: أنّه لم يترك نصره الإمام الحسين عليه السلام عندما عرض عليه الشمر الأمان من القتل في حال تركه لمعسكر الحسين عليه السلام، وفداؤه لأخيه بنفسه حتّى قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «رحم الله عمّي العباس بن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتّى قُطعت يده»<sup>(٤)</sup>.

٣- المواساة: سمة أخرى يبيّنها الزيارة لأبي الفضل العباس عليه السلام، والمروية عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «أشهد لقد نصحت الله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي»<sup>(٥)</sup>. ووردت صفة المواساة في شخصية أبي الفضل العباس في زيارة الناحية المنسوبة للإمام الحجة عليه السلام في قوله: «السلام على العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٠.

(٢) المصدر السابق.

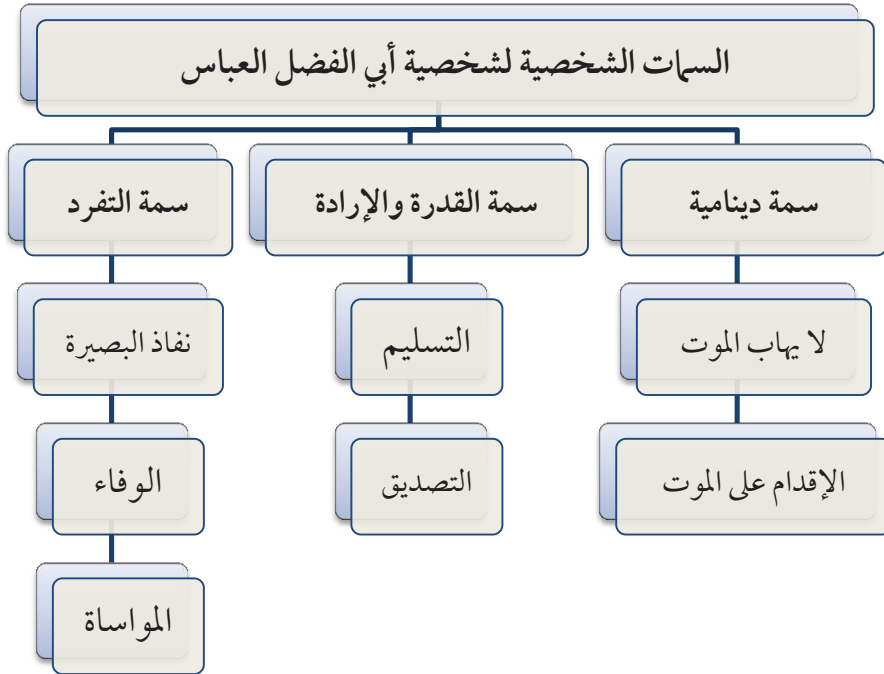
(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٢١٠.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢١٨.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٠.

بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقى له، الساعي إليه بهائه، المقطوعة يداه»<sup>(١)</sup>.  
 والمواساة في اللغة هي: «المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق»<sup>(٢)</sup>، فالمواساة: مشاركة الآخر في كل ما يشعر به من مشاعر سلبية أو إيجابية، وهي من السمات نادرة الوجود في الأفراد؛ لذا نرى العباس قد رمى الماء من يده بعد أن أحس ببرودته وهو عطشان؛ لأنه تذكر عطش الإمام الحسين عليه السلام وعياله، وهنا تتجلى المواساة بأبهى صورها، إذ ارتجز قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هُوني      وبعده لا كنت أن تكوني  
 هذا حسين وارِدُ المتون      وتشربين بارداً المعين  
 تالله ما هذا فعال ديني      ولا فعال صادق اليقين<sup>(٣)</sup>



(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦٥.

(٢) ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٥.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٦٧.

وهنا ربط العباس سلوكه هذا بالمنظومة القيمية التي يؤمن بها ويتتمي إليها، فلا مجال أن يُشكّل أحدهم بأنّه سلوك أدّى به إلى التهلكة، أو أنّه أدّى نفسه بالعطش، وهو القادر على دفعه بعد أن وصل إلى الماء، فسمّة المواساة ضمن المنظومة القيمية في الإسلام تُترجم حجم الترابط والتآزر بين الأفراد، بمعنى أنّ ذلك السلوك لم يكن ميلاً عاطفياً، أو انفعالاً وانحيازاً نسبياً بحكم رابطة الإخوة النسبية بين أبي الفضل والإمام الحسين (عليه السلام)، بل الأمر متعلّق بالدين، فهو (عليه السلام) رفع ذلك التبادر بقوله: «تالله، ما هذا فعال ديني».

### المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين سمات شخصية العباس (عليه السلام)

المواقف تحمل السمات الشخصية الخاصّة بصانعيها؛ وتحمل طابع أهدافهم، وأمزجتهم، وعواطفهم، وأخلاقياتهم، وطريقة فهمهم للحياة، وقد تنعدم هذه السمات الشخصية المميّزة مع أصحابها، ولن تعود على الإطلاق، فالمواقف بهذا المعنى لا تعود ولا تتكرر، فإنّ ما حدث في الماضي قد حدث مرةً واحدةً، أمّا إذا أردنا من هذه القضية أو ذلك الموقف أن يتكرر وفق مظاهره العامّة وآثاره النفسية والاجتماعية في المجتمع، فيجب أن تتوفّر في الحاضر، وفي نسيجه الاجتماعي وعلاقاته الإنسانية، الأسباب الموضوعية التي أدّت إلى نشوء ذلك الموقف في الماضي<sup>(١)</sup>، بمعنى أنّه لا بدّ أن تُدرس العوامل التي ساهمت في صناعة ذلك الموقف، الذي لن يتكرر إلّا بتكرار صاحبه، أو العوامل التي كوّنّت شخصيته، فالموقف هو العنصر الأساسي في تحديد طبيعة السلوك، ويتوقّف أداء الفرد على طبيعة ذلك الموقف، وكيفية فهم الفرد له، بما يمتلكه من مهارات ذهنية وعقلية واجتماعية<sup>(٢)</sup>، وبما أنّ الأشخاص لا يتكررون وإنّما سماتهم هي التي قد تتكرر، فلا بدّ من بحث العوامل المكوّنة للسمات

(١) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام: ص ٩٥.

(٢) أنظر: رائد يوسف، إدارة السلوك الإنساني والتنظيمي: ص ٣٩.

الشخصية لدى الأفراد، لمعرفة كيفية استعادة مواقفهم من الماضي إلى الحاضر.

فعندما نقرأ زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام التي يستهلها المعصوم بقوله: «سلام الله وسلام ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين، والزّاكيات الطيّبات، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين... السلام عليك يا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن سيّد الوصيين، السلام عليك يا بن أوّل القوم إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، وأقومهم بدين الله، وأحوطهم على الإسلام»<sup>(١)</sup>، نجد أنّ نسبة أبي الفضل لأمر المؤمنين بالنبوة، وذكر مناقب أمير المؤمنين حاضرة في الزيارة، أي: إنّ الإمام عليه السلام استدعى ما كان لأمر المؤمنين من مواقف مع النبيّ الأعظم في خطاب الزيارة لأبي الفضل، وهو أمر يستدعي التوقّف لأسباب، منها:

أولاً: معروف أنّ العباس عليه السلام هو ابن علي بن أبي طالب، فما هي مناسبة ذكر النسب هنا؟

ثانياً: المرء في ميادين الفخر تُذكر مناقبه لا مناقب آبائه؛ إذ ينسب لأمر المؤمنين قوله:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً	يُغنيك محموده عن النسب
فليس يُغني الحسيب نسبته	بلا لسانٍ له ولا أدب
إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا	ليس الفتى من يقول كان أبي <sup>(٢)</sup>

فما وجه ذكر نسبة العباس لأمر المؤمنين عليه السلام مع كل ما ذكرته الزيارة من سمات لشخصية العباس؟ وما علاقة مواقف أمير المؤمنين مع الرسول صلّى الله عليه وآله بموقف أبي الفضل مع أخيه الحسين عليه السلام؟

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٨٩-٢٩١.

(٢) المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ج ٧، ص ٢٧٠.

الإجابة عن تلك التساؤلات تكمن في أن تلك السمات العظيمة التي اتّسمت بها شخصية العباس عليه السلام لم تأت من فراغ، بل هناك عدّة عوامل اجتمعت على تكوينها؛ إذ تتكوّن الشخصية من مجموعة مكوّنات عقلية وجسمية واجتماعية، ولكلّ مكوّن منها تأثير على المكوّن الآخر من جهة، وكلّ مكوّن يتأثر بمجموعة من العوامل الخارجية التي تُسهم في تكوين الشخصية من جهة أخرى<sup>(١)</sup>، ومن العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية أبي الفضل هي:

### أ. العوامل الوراثية

يُقصد بالعامل الوراثي: ما ينتقل من صفات وراثية إلى الفرد من آبائه وأجداده، ويُسهم في تكوين ملامحه الخلقية والخلقية، مثل: الذكاء، والشجاعة، والكرم، وغيرها<sup>(٢)</sup>، والزيارة تذكر أنّ أمير المؤمنين هو أوّل القوم إسلاماً، أي: أوّلهم نصرة للرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، وكذلك العباس عليه السلام، هو أوّل من نصر أخاه، وبقي معه إلى آخر محطة من محطات واقعة الطفّ.

### ب. العوامل المكتسبة

العوامل الوراثية لا تظهر من دون تفاعلها مع العوامل البيئية<sup>(٣)</sup>، ولا يخفى أنّ العامل الأساسي في تكوين سمات الشخصية لدى أيّ فرد هو التربية، وتعرّف بأنّها: «مجموعة المؤثرات المعينة التي تمتدّ إلى إحداث تغيّرات لدى الأفراد؛ حتّى يكتسبوا سمات الشخصية التي تزودت بالخصائص التربوية»<sup>(٤)</sup>، ويصحب عملية التربية طبقاً لهذا المفهوم مجموعة من المؤثرات التي تُسهم بشكل فعّال في نجاح عملية التربية

(١) أنظر: النصر، مدحت، الإعاقة النفسية: ص ٦٢.

(٢) أنظر: العاني، نزار، الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي: ص ٦٣.

(٣) أنظر: رائد يوسف، إدارة السلوك الإنساني والتنظيمي: ص ٣٧.

(٤) نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي: ص ١٨.



وتكوين سمات الشخصية، وتمثل فيما يأتي<sup>(١)</sup>:

١- مجموعة المعارف والمهارات والاتجاهات.

٢- مجموعة القيم والمثل العليا التي تبني عليها وتتضمنها العملية التربوية.

٣- مجموعة الطرق والأساليب المستعملة لإمداد المتعلم بالمجموعتين السابقتين.

بمعنى أن البيئة المحيطة لها أثرها في تكوين شخصية الفرد، والتربية هي وسيلة من وسائل انتقال معارف البيئة المحيطة من المهارات والسلوكيات والخبرات والقدرات إلى الفرد، وهي إما أن تؤثر سلباً أو إيجاباً في تكوين الشخصية بحسب كمها ونوعها. وأمير المؤمنين عليه السلام كان مربيّاً لأبنائه على قيم الإسلام التي تمثل جانب المعارف والمثل العليا من جهة، وكان قدوة لهم من جهة أخرى.

### أهمية القدوة الحسنة في تكوين الشخصية

أكد النصّ القرآني أهمية القدوة في تكوين معالم شخصية الفرد أو المجتمع، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والقدوة هنا تعني المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثلما يعمل، ويحذو حذوه في كلّ صغيرة وكبيرة، فالإقتداء بالرجل في كلام العرب يعني اتباع أثره والأخذ بهديه، فيقال: «فلان يقدر فلاناً: إذا نحنا نحوه واتبع أثره»<sup>(٥)</sup>، والاتباع لا يكون إلا بعد التأثر بشخصية المقتدى به الذي يمثل قدراً من المثالية والرقى والسمو عند أتباعه ومحبيه،

(١) عفيفي، محمد الهادي، الأصول الفلسفية للتربية: ص ٥٥.

(٢) الأحزاب: آية ٢١.

(٣) الممتحنة: آية ٤.

(٤) الممتحنة: آية ٦.

(٥) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧، ص ٣٤٦.

والقدوة تنطوي في داخلها على نوع من الحب والإعجاب الذي يجعل المقتدي يحاول أن يطبق كل ما يستطيع من أقوال وأفعال، وبذلك فإن القدوة مدرسة تُقدّم للأشخاص والأفراد نماذج واقعية عن الكمال والبطولات، وما يريد أن يصل إليه الفرد، فيتأثر بها على نحو السلوك العملي، فلا يمكن لأي شيء أن يترك أثره على الشخصية كما يتركه العمل<sup>(١)</sup>.

وبذلك فإن القدوة الحسنة تؤثر على الشخصية في مجموعة أمور يمكن إجمالها فيما يأتي:

- ١- إنها تعطي منهجاً عملياً للسلوك الصحيح.
  - ٢- تقدّم مثلاً واقعياً عن نجاح ذلك السلوك والمنهج.
  - ٣- تُخرج القيم والمثل العليا من إطارها النظري إلى بعدها التطبيقي.
- وبمراجعة سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجد أنه كان قدوةً في تربيته، وكونه قدوةً يعني أنه يمثل الجانب التطبيقي في التربية التي تتجسّد فيها المهارات والأساليب التربوية، فالمرّبّي إن لم يترجم القيم التي يرّبّي عليها الآخرين من خلال سلوكه العملي، فتربيته قد لا تثمر بالشكل نفسه فيما لو كان متحلياً بتلك القيم.
- وهذا ما يفسّر ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام في زيارة العباس عليه السلام؛ لما يوجد هنالك من ترابط قيمى على نحو الوراثة والاكتساب، فالمنهج الذي نهجه أمير المؤمنين عليه السلام في نصرته الرسول صلى الله عليه وآله، وثبتت أركان دعوته، هو ذات المنهج الذي سلكه العباس عليه السلام في نصرته الإمام الحسين عليه السلام؛ لذا تشهد له الزيارة في أهم فقراتها بعبارة: «أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله»، والبدريون هم الخطّ الأوّل الذين نصرّوا الإسلام يوم كان في أوّل طريقه لإحقاق الحقّ وإبطال

(١) أنظر: محمد عبد المنعم، الإسلام وبناء المجتمع: ص ٥٠.

الباطل، ومنهجهم كان حاضراً في سلوك أبي الفضل العباس، مما يدلّ بوضوح على أنّ الجانب المعرفي والقيمي والتربوي كان له أثره في تكوين تلك الشخصية العظيمة. وبالإجمال، فإنّ دراسة العوامل المؤثرة في تكوين السمات الشخصية لأبي الفضل العباس عليه السلام تسهم في بيان خصائصه وسماته وسلوكه ومعتقداته واتجاهاته وميوله، وهي بمجموعها تسمّى الشخصية، أو المكونات التي جعلت من تلك الشخصية رمزاً يقتدى به، ويخلّده التاريخ.

## الخاتمة

من خلال ما تقدّم يمكن القول:

١- إنّ قراءة الشخصية الرمز من خلال ما تتّصف به من صفات يعطي زخماً معنوياً للمتلقّي من جهة، ويسلّط الضوء على عظمة تلك الشخصية من جهة أخرى، لا سيّما إذا كانت تلك القراءة في ضوء النظريات العلمية المعاصرة التي لها جذور إسلامية؛ إذ تجعل القراءة أكثر تأثيراً في متلقيها لعصرنتها.

٢- أراجيز أبي الفضل العباس عليه السلام والمضامين الواردة في زيارته تؤكد المواقف المعرفية التي وقفها مع أخيه الحسين عليه السلام وهي نابعة عن أصالة اعتقاد، وليست ميولاً وعواطف نسبية - أي: حمية الأخ لأخيه - وإنّما كانت تلك المواقف نتيجة لترجمة السلوك القيمي الإسلامي الحنيف.

٣- سمات شخصية أبي الفضل عليه السلام جعلته رمزاً تاريخياً يقتدى به في سوح الوغى والوفاء والغيرة على الدين.

٤- الجانب التطبيقي في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، أعطى للقيم المعرفية زخماً واقعياً من جهة التطبيق، بمعنى أنّها ليست مجرد مثل لا مجال لتطبيقها، فالفرد عند معرفته لشخصية أبي الفضل، وما تحمله من سمات، يصل إلى قناعة أنّ المثل



العلّيا لا بدّ أن تأخذ حيّزها الواقعي، بعيداً عن المثالية التي لا واقع لها.

٥- هذا ما استطاعت الباحثة الوقوف عنده، من خلال تحليل سمات شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام في ضوء نظرية السمات الشخصية، ويبقى البحث جهداً بشرياً يتسم بالنقص مهما بلغ.

والحمد لله ربّ العالمين.

